الشباب وإطلاق طاقات الحياة

أ.د. مصطفى حجازي

تمهيد وتعريف

الشباب هو بالتعريف تجديد الحياة لذاتها، وتجديد طاقاتها الوثابة. وهو الرصيد الاستراتيجي المستقبلي المضمون لأي مجتمع. وهو قوام كل نماء وبناء وتجديد. بالشباب تجدد الحياة ذاتها. وهي تقوم بالأصل على قانون التجاوز والنقض. تشيخ أجيال فتحل محلها أجيال شابة متدفقة بالحياة والطموحات والإقدام والإمكانات المتجددة والمتجاوزة لما سبقها، مما يفتح آفاق المستقبل والإرتقاء. ولولا هذه الطاقات الحية التي تجدد الحياة ذاتها من خلالها، لما كان هناك تقدم ونماء وتوسع. تلك هي خاصية الحياة ذاتها في مختلف تجلياتها في عالم النبات والحيوان والإنسان على حد سواء. الحياة المتجسدة في الكائن الحي تستنزف وتشيخ وتزول، كي تفسح المجال لبذور جديدة تتفتح وتنمو وتزهر وتثمر، وتنتشر في الأرض.

يرد في قاموس محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني ما يلي في تعريف مادة الشباب: شب النار أوقدها، وشب الشيء إرتفع ونما، وشب الغلام ويشب شباباً صار شاباً. أما في القواميس الأجنبية (فرنسية، إنجليزية) فليس هناك كلمة خاصة بتحديد فئة الشباب، بل هناك مفردة Jeuness أو Youth وهي تدل على الحالة ما بين فترة المراهقة والرشد. وبالتالي فالمعنى اللغوي للشباب هو النماء والبروز وتوقد الإمكانات والطاقات الحية والتطلع للخروج الى الدنيا ولعب الدور واحتلال المكانة.

الشباب ظاهرة مستجدة عالمياً

من الشائع على الصعيد الديموغرافي اعتبار السن ما بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين هي مرحلة الشباب؛ وهو التحديد المعتمد عربياً ودولياً. إلا أن هذا التحديد الديموغرافي يظل

شكلياً محضاً؛ ولا يطرح بالتالي القضية الفعلية لظاهرة الشباب المعاصر. ومن الملفت للنظر أن علم نفس النمو الرائج راهناً لا يفرد مرحلة قائمة بذاتها للشباب، كما يفعل في دراسة الطفولة وتحولاتها وخصائص النمو ومراحله خلالها؛ وفي دراسة البلوغ والمراهقة وتحولاتها وصراعاتها وأزماتها، بل هو يقفز بعد ذلك مباشرة من أواخر المراهقة الى مرحلة الرشد. ذلك أنه حتى وقت قريب نسبياً كان يتم الدخول في سن الرشد وأدواره (عمل، زواج،...) في مرحلة مبكرة عموماً. أما الآن فلقد أصبح الدخول في العضوية الاجتماعية الكاملة (العمل المهني المنتظم، الزواج والوالدية والمشاركة في الحياة العامة) يتأخر باضطراد لدى شريحة كبيرة من الشباب، مع ما يترتب عليه من امتداد فترة الإعالة وأزمات البقاء خارج سوق العمل.

وهكذا تبرز قضية الشباب في عالمنا العربي بمثابة ظاهرة تسير باتجاه التفاقم. إذ لم تعد مرحلة الشباب تقتصر على النضج العام (جسمياً، نفسياً، عقلياً، ومهنياً)، بل هي تطرح ذاتها على الصعيد الاجتماعي المهني الزواجي، أي منظور العضوية الاجتماعية مكتملة المقومات. وتبرز أزمة الشباب تحديداً في هذه الفترة المستجدة تاريخياً واجتماعياً بسبب تزايد تبكير النضج العام من ناحية، وتزايد تأخير اكتساب العضوية الاجتماعية الكاملة من الناحية المقابلة، مع تزايد حدة وعي هؤلاء الشباب بواقعهم المأزمي نتيجة للنضج الأكثر تبكيراً، وولوج عالم العمل والعضوية الاجتماعية الكاملة الأكثر تأخيراً. ذلك ما يُعرَف مرحلة الشباب راهناً، ويجعلها تقفز الى صدارة الاهتمام البحثي والتخطيط للسياسات الاجتماعية.

إننا بصدد حالة متزايدة من النضج المبكر على جميع الصعد، وخصوصاً على صعيد المعرفة والمعلومات والوعي بالواقع الذاتي في عصر العولمة. إننا بصدد جيل جديد يعرف أكثر من آبائه ومعلميه، ويكاد يشكل المرجعية لهم على صعيد تقنيات المعلومات وآفاقها اللامحدودة، والاتصال وطفراته التقنية والانفتاح على الدنيا المعولمة، حيث يشكل جمهورها الأساسي استقطاباً واستهلاكاً.

وفي مقابل هذا الوعي الحاد والمتزايد هناك تأخير متزايد لدخول شرائح هامة من الشباب الى عالم العمل والعضوية الاجتماعية، واكتساب الأهلية الاجتماعية الكاملة. هناك راهناً ما يقرب عشرة سنوات تأخير في سن الزواج لكلا الجنسين، نظراً لطول فترة تأسيس وضع مهني يوفر الدخل اللازم لتأسيس أسرة. على أن هناك في عالمنا العربي راهناً شرائح تتزايد باضطراد تظل خارج سوق العمل وبالتالي خارج اكتساب الأهلية الاجتماعية، مما هو معروف بظاهرة بطالة الشباب. إنه شباب ناضج جسمياً وعقلياً وعلى وعي متزايد باختلالات الواقع، إلا أنه يشكل

طاقات مهدورة. وبالتالي تزداد فترة الإعالة وتطول فترة الوصول الى الاستقلالية عن الأسرة، وتتفاقم الأزمات.

دعتنا هذه الظاهرة الى المناداة بضرورة تأسيس علم جديد هو «علم الشباب». وهو علم أصبح يتزايد إلحاح إنشائه. فالمراهقة لم تعد في أيامنا تشكل أزمة أصالة فعلية كما كان الحال قبل خمسين عام. فالمراهق أصبح يعرف أكثر من أهله ومعلميه بفضل انفجار المعلومات التي حملتها تقنيات المعلومات والاتصال وتوفر الوصول إليها والابحار في عوالمها مما يجعله في غنى عن الوالدين والمعلمين على هذا الصعيد.

الأزمة الفعلية راهناً هي ظاهرة الشباب وخصوصاً في عالمنا العربي حيث شريحة الشباب هي الأكبر ديموغرافياً.

إننا بحاجة الى علم للشباب لا يقتصر على علم النفس وحده، بل يتعين أن يكون علماً متعدد الاختصاصات ومتكاملها، كي يحيط بكامل تعقيدات ظاهرة الشباب وتجلياتها. هم علم يتشارك فيه كل من علم النفس وعلم الاجتماع، والإعلام، والاقتصاد وسياسات التنمية والانتروبولوجيا. الغاية من علم الشباب متعدد الاختصاصات ليس فقط دراسة ظواهر الشباب عالمياً وعربياً، وإنما العمل على المقاربة المنهجية الدينامية والشاملة لهذه الظاهرة، وصولاً الى تصحيح الأفكار المسبقة والمغلوطة حول الشباب من ناحية، والنهوض الى حسن استثمار هذه الطاقات الحية التي تشكل ضمانة النماء وديمومته وصناعة المستقبل من الناحية الثانية. ولابد قبل هذه وتلك من التوقف عند اعتبار منهجي يتمثل في ضرورة إبراز تمايز فئات الشباب أو شرائحه.

شرائح الشباب

درجت العادة على الحديث عن الشباب وكأنه كتلة واحدة متساوية الخصائص والمقومات والحضور، وإطلاق التعميمات والأحكام، في إيجابها كما في سلبها على هذه الشريحة العمرية. إلا أنه إذا كان هناك وحدة على المستوى العمري، فإن هناك بالمقابل تعدداً على صعيد الخصائص والشرط الوجودي والخبرات والمواقف. هناك على الأقل أربع شرائح شبابية تتمايز فيما بينها: شباب النخبة، الشباب المحظي، الشباب المكافح لبناء حياة كريمة، وشباب الظل. وتنطبق هذه الشرائح على كلا الجنسين (ذكوراً وإناثاً) على حد سواء، وذلك دون الحديث عن شريحة خامسة تظل خارج الأبحاث المتداولة وهي شريحة الشباب الريفي والعشائري.

هناك أولاً شباب النخبة ويمثل تلك الشريحة المميزة التي حظيت بأفضل رعاية أسرية، وبأعلى مستويات التربية والتعليم والاختصاص المهني والاعداد للمستقبل. إنها تلك الشريحة

التي حظيت بفرص بناء «هوية نجاح» ومفهوم إيجابي عن الذات والصحة النفسية، والتي تمثلت «ثقافة الانجاز» التحصيلي، والتأهيلي المهني. تدخل سوق العمل عالي الاختصاص والمهارة في سن مبكر، وسرعان ما تصل الى مستويات قيادية توفر لها إمكان بناء مكانة اجتماعية لائقة. إنها شريحة شباب ما فوق الأزمات بالمعنى الشائع، وهي الأكثر حظاً في خوض غمار العولمة والاستفادة من فرصها واسواقها واستهلاك وتقنياتها.

لا تعاني شريحة النخبة هذه من أزمة شباب، أو أزمة أهلية اجتماعية، إنما تتمثل الأزمة بل الخسارة الوطنية الكبرى الناتجة عن هدر هذه الطاقات الشابة والتي تمثل أثمن مورد وطني. إنها تمثل أزمة هدر الذهب الرمادي (مقارنة بالنفط الذي يطلق عليه تسمية الذهب الأسود). الذهب الرمادي هو تلك القشرة الدماغية Matiere grise (القشرة الدماغية المفكرة والعالمة والمبدعة). وهي أثمن وأكثر دواماً وتجدداً من الذهب الأسود، بما هو مورد ناضب. أسر أبناء شريحة النخبة هذه يصرفون جنى العمر في إعداد هذه الطاقات العقلية والعلمية والمهنية حيث يوفرون لها أفضل فرص رعاية وتنشئة وتعليم. إنهم أشبه بمزرعة شتول تنتج أفضل الأغراس المنتقاة، ولكن عندما يحين موسم زراعتها كي تنمو وتثمر عطاءً مميزاً، لا تجد في وطنها في معظم الحالات إلا أرضاً جدباء وبالتالي يتلقفها كل من الغرب وأميركا غرسة جاهزة كي تؤتي ثمارها. وطنها يهدرها، إلا فيما ندر.

إنها تنطلق في الأسواق المعولمة. ويفرح الأهل بنجاح أبنائهم خارج الحدود. إلا أن من يخسر هو الوطن المتصف بتصحر على صعيد فرص استثمار هذه الطاقات، وبدون الالتفات الى الخسارة التي تحل به من جرائها. يقول صديق لنا وهو خبير في اقتصاد التنمية: "إن الخسارة الوطنية من هجرة هذه الطاقات المنتجة والمبدعة تفوق ربحه بما تدره على البلد من عملة صعبة".

فلنتصور للحظة كيف سيكون حال الوطن فيما لو استغل في أرضه هذه الطاقات على صعيد ديمومة التقدم والنماء.

وفي المقابل هناك شريحة الشباب المحظي أبناء محدثي النعمة من اللذين كان لهم نصيب كبير من الاستئثار بثروات البلاد بوسائل عديدة، ليس أقلها تقربهم من السلطان واستحواذهم على خيرات الأوطان. هذا الشباب المحظي، شباباً وشابات، يشكل الفئة التي تربت على التراخي في الضبط والمحاسبة وتدني الرعاية الأسرية في مقابل إغداق العطايا المادية بمثابة رشوة تمثل البديل لهذه الرعاية. لم تتعلم معنى الجهد ولا ترى من ضرورة للإعداد والتكوين، طالما أن ثروة

الأسرة جاهزة. تعيش في الملذات الآنية والاستهلاك المفرط والفراغ الوجودي الذي تملأه بالإثارة على اختلافها؛ المشروعة منها كما غير المشروعة، في ظل حماية الأهل الذين يمارسون نفوذهم لدى السلطات حين يجنح هؤلاء الشباب في ممارسات يطالها القانون. لا شأن لهذه الشريحة لا بأزمات الشباب، ولا بقضايا الأوطان.

تشكل هذه الشريحة المحدودة العدد جداً بطلة أسواق الاستهلاك على اختلاف ألوانه، مما تروج له ثقافة الاستهلاك. هويتها وموضع اعتزازها هو في التباري في الاستهلاك واستعراض مظاهرة: المولات، اقتناء آخر صرعات الموضة، السيارات الفارهة، مع إدارة الظهر الى الوطن وقضاياه. ذلك أن أسر هؤلاء هي المستفيدة من أزمات البلد الاقتصادية، بل هي المولدة لهذه الأزمات من خلال الاستئثار بخيرات البلد وتجيير اقتصاده لمصلحة زيادة أرباحها وثرواتها، وبدون أي مشاعر انتماء أو التزام بقضايا الوطن. إذ أنها أول من يهرب رأسماله الى الخارج، وأول من يُهَرِّبْ هو بدوره عند استفحال الأوضاع.

وهناك الفئة الطامحة الى الحياة الكريمة والتي تشكل كتلة ذات شأن، كما أنها موضع اهتمام الباحثين. إنها من أبناء الأسر المتوسطة التي تحظى برعاية والدية مقبولة، كما أنها تتابع تحصيلها في التعليم العام ما قبل الجامعي كما الجامعي. ونظراً لتواضع مستوى هذا التعليم في مختلف مراحله فإنها لا تحظى بالإعداد العلمي والمهني المتين الذي يمكنها من دخول سوق العمل بسهولة والتنافس فيه، ولذلك فهي تتعرض لبطالة الجامعيين. إنها تكد من أجل الارتقاء الاجتماعي من خلال الدراسة ولكن تخيب آمالها حين تقع في البطالة. وهنا تظهر المأساة: وعي عال بما يجري في العالم من حولها، وقدرات محدودة على الاستهلاك وأخذ الحظ منه، وتأخر متزايد في الوصول الى الأهلية الاجتماعية. هنا تبرز أزمات الشباب الذائعة في الإعلام والأبحاث. ورغم تمسكها بالانتماء الوطيد الى الوطن، فإنها تهمش عن مواقع المشاركة في الشغل على قضاياه وإيجاد الحلول لها. تشكل هذه الشريحة قوة فاعلة في انتفاضات الشباب الباحثة عن انتزاع الحق في حياة كريمة، وتعيش درجة علية من الاحتقان الوجودي الذي يتفجر حين تتحرك طاقات الحياة في الثورة الشبابية والجماهرية، يستوي في ذلك الشبان والشابات.

تتجلى أزمات الشباب لدى هذه الفئة تحديداً. يتمثل أولها في قصور التأسيس العلمي والمهني المتين في التعليم الرسمي العام والعالي. لا يؤهل هذا التعليم العالي في غالبيته الكبرى خريجيه بالمؤهلات التي يتطلّبها سوق العمل الحر الذي تتزايد متطلباته العلمية والمهنية باضطراد من حيث الكفاءة والمهارة. أما القطاع الحكومي فلقد وصل درجة التشبع في معظم الحالات ولم يعد يوفر الكثير من فرص العمل.

وهنا تبدأ المعاناة وتتراكم خيبات الأمل وتخنق طموحات الشباب في مكانة ودور وحياة كريمة. ولقد أصبح معروفاً تزايد نسبة بطالة الجامعيين من هذه الفئة تحديداً. وهنا تطل برأسها ظاهرة «البطالة اليائسة». إذ بعد فشل العديد من محاولات دخول سوق العمل المتكررة تتسرب خيبة الأمل الى النفوس ويدخل الواحد من هؤلاء في البطالة اليائسة. ولنا أن نتصور مقدار المعاناة الوجودية لدى هذا الشباب الذي تُهْدَرْ طاقاته وطموحاته بهذا الشكل.

وما يزيد الأمر تفاقماً هو نظرة القائمين على شؤون الاقتصاد والعمالة، وعلى شؤون البلد والسياسة عموماً، الى هذه التكتكة الشبابية التي تعيش في حالة احتقان وتتكاثر أعدادها على الدوام: إنها تعتبر فئة الشباب الزائد عن اللزوم الذي تتوجس منه السلطات على استقرار أوضاعها. وبالتالي تقوم علاقة حذر متبادل وعداء ما بينها وبين كتلة الشباب هذه. وهي حلقة لا يقتصر ما يلحق بها من غبن على وضعها وحده، بل هو يشكل هدراً لطاقات الوطن الشابة التي يفترض بها حمل لواء المستقبل وبنائه، وهدر رصيده الاستراتيجي المضمون من طاقات الحياة.

وهناك شريحة شباب الظل التي تتكون من أولئك المقهورين والمهدورين من الشرائح الشعبية الأكثر فقراً والأقل حظوظاً. إنها محرومة من التمدرس والتدريب المهني المؤهل للأعمال الحرفية المجزية. تعيش في حالة هامشية ما بين أعمال غير متمهنة وحالات من البطالة. تخرج من اهتمام الباحثين والدارسين لصعوبة الوصول إليها، بحيث تظل تلك الكتلة المهملة والمهمشة. إنها شريحة شباب الظل الذي يشكل وقود العنف في الانتفاضات الشعبية. قسم منها لا يعيش مرحلة شباب حيث فرض عليه دخول عالم العمل في سن الطفولة المتأخرة للمساعدة في إعالة الأسرة. قسم آخر يشكل كتلة الناشئة غير المتكيفة اجتماعياً. إنها شريحة المجهول الأكبر الفائض عن اللزوم والذي يشكل الشباب العبء الذي تحذره لسلطات، وتقابله بالقمع والعنف.

تظل هذه الشريحة خارج مجال الدراسات الخاصة بالشباب. ولا يتم التنبه إليها إلا حين تحدث اضطرابات اجتماعية/اقتصادية/سياسية يكون هؤلاء الشباب هم وقودها. وإلا فمصيرها التجاهل والنسيان، حتى يعود الإعلام فيضج بأخبار غرق المهاجرين من هؤلاء في البحر في ركوب لمخاطرة الرجاء في الخلاص. ليس ذلك مجرد هدر، بل هو الفضيحة الوطنية ذاتها تجري أمام أعين الجميع، بدون أن تحرك ساكناً.

وإذا لم تركب مخاطرة الأمل السحري بالخلاص، فإنها تشكل جمهوراً جاهزاً بمثابة أدوات للحركات المتطرفة. وتجر معها فئة من شباب البطالة اليائسة. هنا تشتغل آلية تكفير الوضع

القائم، بناسه ومرجعياته، التي تروج لها قيادات الحركات المتطرفة من خلال استغلال الدين باعتباره الرجاء الأخير بالخلاص.

تلك هي شرائح الشباب والشابات التي تتنوع شروطها الوجودية، وبالتالي يتطلب كل منها سياسات عامة تلبي احتياجاتها. إلا أنها جميعاً تتطلع الى انتزاع الاعتراف بإنسانيتها، وحقها في العيش والكرامة.

وهناك بالطبع فئة الشباب الريفي ومناطق الأطراف التي ندر أن تتناولها الأبحاث عن الشباب بالدراسة. وهي فئة تحتاج الى مشروع بحثي علمي قائم بذاته لكشف الجوانب المطموسة من الواقع الوطني للشباب.

من قتل الأب الى قتل الأبناء

ينطبق على الأبناء – جيل الشباب خصوصاً – مقولة قتل الأبناء، وذلك على النقيض من مقولة قتل الأب التي قال بها فرويد في كتابه المعروف بعنوان: «الطوطم والمحرم»، حيث يتحدث عن أسطورة يضعها في أساس نشأة المجتمع البشري. يذهب فرويد الى القول بأنه كان هناك رهط بدائي يحكمه أب قوي عاتٍ استحوذ لنفسه على كل نساء الرهط، ومنع أبناءه من إشباع رغبتهم الجنسية، مما أدى الى المزيد من تأجيج هذه الرغبات، وتصاعد العدوانية تجاهه.

وفي مرحلة ما قام الأبناء بقتل الأب وافتراسه، مما ولد في نفوسهم شعوراً شديداً بالذنب دفعهم الى تحريم نساء الرهط على أنفسهم من ناحية، وتحويل صورة الأب الى نوع من الطوطم رمز الرهط والحامي له من الناحية الثانية. كما تعاهد الأبناء على أن الإشباع الجنسي لا يكون إلا مع نساء من خارج الرهط. وهكذا نشأ المجتمع البشري من خلال الانفتاح على الخارج وتبادل النساء ما بين الأرهاط. كما أن الأبناء بافتراسهم للأب تمثلوا في آن معاً القانون الذي ينظم التبادلات والعلاقات الجنسية والعدوانية، وتمثلوا قوته (اجتافوا قوته بالتعبير التحليلي النفسي) وأصبحوا بالتالي راشدين وآباءً بدورهم.

هذه أسطورة افتراضية تكمن قيمتها ليس بواقعيتها بل بفائدتها. ما يهمنا هنا هو تطبيقها على علاقات الأجيال. فأجيال الأبناء تحل محل أجيال الآباء بعد وصولهم الى الشيخوخة. وبالتالي فالحياة تجدد ذاتها من خلال النقد والنقض؛ ذلك ما أقدم عليه الفكر الغربي الحديث الذي يقوم على تجديد حياة العلم والفكر من خلال النقد والنقض. وهو ما يفتح آفاق المستقبل واسعة.

لقد انخرط الغرب كما هو معروف في مشروع بناء العقل الكبير، كما يقول أحد مفكريه، وحقق قفزات كبرى معروفة على صعيد الفلسفة والعلم والتقنيات من خلال نقد ما هو قائم ونقضه وتجاوزه بالمستجد من النظريات والتقنيات التي نستوردها نحن ونتداولها جاهزة.

لقد أنجز الفكر الغربي ثورات ثلاث على صعيد النقد والنقض والانطلاق الى صناعة مستقبل متجاوز لذاته. أولها ثورة إحلال سلطان العقل محل سلطان الغيب (سلطان الكنيسة والحكم الإلهي)؛ وثانيها ثورة الضبط العقلي والعلمي المحكم للنظريات ومنهجيات البحث، مما يتجلى في معطيات فلسفة العلم. فالعلم يختلف جذرياً عن اليقين الديني. النظرية العلمية لا تعتبر كذلك إلا إذا كانت قابلة لتكرار التطبيق، وللتفنيد، ومن ثم التعميم. ويقصد لتفنيد قابلية النظرية لأن تنقد وتنقض من خلال تبيان قصورها، مما يفتح السبيل أمام نظرية جديدة، أو نموذج علمي جديد يطرح رؤى وممارسات تتجاوز السابقة. أما ثالث ثورات النقد والنقض فتتمثل بإطلاق العنان للفكر المبدع الذي يتجاسر على المجهول ويأتي بالمفاجئ من الرؤى. وهو ما نراه راهناً من قفزات في الاكتشافات والاختراعات (من أقرب الأمثلة عليها التطور المتسارع والمذهل لتقنيات المعلومات والاتصال) التي يلهث الناس في متابعتها.

وهكذا انتقل الغرب من العصور الكلاسيكية وفكرها الماضوي والغيبي الى الحداثة، ومن ثم الى ما بعد الحداثة على صعد الفكر والتقنية.

الفكر والتقنية الغربيين يجددان شبابهما باستمرار من خلال تجاوز القديم الذي يحول الى مجرد تراث وتاريخ. والشباب هم أبطال هذا النقد والنقض والتجاوز. جل العلماء والسياسيين والمفكرين هم راهناً من جيل الشباب (بيل غيت، وزوكر وجو جوبز في تقنيات المعلومات والاتصال نموذجاً).

وجل الناشطين في إدارة المال والأعمال من الشباب. حتى أن بعض المفكرين يشير الى كيف أن الغرب أصبح يمجد الشباب أساساً باعتباره المرجعية المعاصرة لجيل الآباء. وبدلاً من محاكاة الشباب للكبار، مما شاع سابقاً، أخذ الكبار يحاكون الشباب راهناً، حفاظاً على مواقعهم ومكانتهم وأدوارهم، وحتى لا يخرجوا خارج الملعب. والعولمة بذاتها تمجد الشباب بالأساس؛ فالشباب هم أبطالها على كل صعيد.

تقوم العولمة على قانون القوة بالأساس، وعلى رأسها القوة المعرفية. وقانون القوة يقوم على حيوية الشباب وانطلاق طاقات الحياة لديهم في تجاوز لكل تقليدي وراهن تطلعاً الى المستقبل

الذي هو من حيث التعريف تجديد الحياة لذاتها في مقابل تمسك الشيوخ بالماضي وتقاليده. ويشكل التسارع المتزايد أحد أبرز ظواهرها: كل شيء يتسارع ويتغير بوتائر غير مسبوقة، وخصوصاً على صعيد التقنيات. وهو تسارع يشكل نوعاً من موجة التسونامي التي لا يقف في وجهها شيء. وها هي البشرية بصدد الدخول في طور حضاري جديد من خلال ما أطلق عليه علمياً تسمية «الفرادة Singularité» وهي تتشكل من تكامل عمل تقنيات خمساً هي بصدد تغيير الحياة على الكوكب، وهي التالية:

علوم الحاسوب والاتصال، علوم الهندسة الوراثية، العلوم العصبية المعرفية (اكتشاف آليات عمل الدماغ وديناميا‌تها)، تقنية النانو (المتناهي الصغر)، وتقنية الروبوتات.

هذه العلوم تتآلف فيما بينها وتولد المذهل من الاكتشافات التقنية وتطبيقاتها؛ من قبيل انتاج روبوتات متناهية الصغر تحقن في الفيروسات وتدخل الى الدم فتقوم بقتل الخلايا السرطانية. ومن قبيل تزويد الحاسوب بالبلازما فيفكر بمثابة الدماغ البشري، وبالمقابل تزويد الدماغ بشرائح حاسوب تؤدي الى طفرات في قوة الذاكرة وسرعة العمليات الدماغية. أما الهندسة الوراثية فمعروفة تطبيقاتها الراهنة في مجال الانتاج الزراعي والحيواني. إلا أنه سيكون لها تطبيقات بشرية بحيث يمكن هندسة مواليد بمواصفات حسب الطلب، أو إنتاج أعضاء بشرية بديلة، أو تعديل الجينوم بحيث تتعزز المناعة ومقاومة الأمراض والتحكم بالأعمار، وحالة الصحة العامة.

وبالطبع يترتب على هذه التقنيات المتآلفة فيما بينها والمنتجة لكل ما لا يخطر ببال الناس العاديين، وما تحمله من تحولات حضارية، تؤدي الى سيطرة مطلقة من قبل المتحكمين بهذه التقنيات (وهم قلة قليلة) على الحياة على وجه الكوكب. ويترتب عليها آثار أخلاقية كبرى أخذت تشغل بال الفلاسفة ورجال الفكر؛ إذ ليس من المضمون توظيفها لخدمة كل البشر والارتقاء بنوعية حياتها. فأين نحن من كل ذلك على صعيد استثمار طاقات الشباب الحية وصانعة المستقبل؟

في عالمنا الآباء هم الذين يقتلون الأبناء رمزياً من خلال البنى البطركية التسلطية الفوقية. وأبرز من يمثل هذا القتل هم قوى التسلط التي تستحوذ على خيرات الأوطان، وتقمع كل طاقات الحياة وتمردها من خلال فرض ثلاثية: التأثيم والتحريم والتجريم. يفرض رب الأسرة المتسلط التأثيم على الأبناء منذ نعومة أظفارهم: فالولد مخطئ ومقصر، وغلطان، وموضع ملامة وإدانه. إنه يدرب في البيت ثم في المدرسة على نظام الطاعة والخضوع. وأبرز ما يتمثل

ذلك في العائلة البطركية الممتدة ورب العشيرة الذي يفرض الطاعة والخضوع لقاء الحماية وتوفير المغانم تحت شعار «تخضع ترضخ» أي تطيع وترضخ لسلطة رأس العشيرة وتدين له بالولاء فيتاح لك عندها التمتع بالغنائم والحماية. ويتجلى ذلك في الإدارة الحكومية، فابن العشيرة يدخل الوظيفة بالواسطة، وعندها يتاح له جناية المغانم من خلال نظام الفساد المعروف. المهم هو أن يبرهن على ولائه. وهو في ممارسته لعمله الوظيفي يحاسب على الولاء وليس على الأداء. وإذا تزعزع ولاءه فهو مفقود، حيث تخرج من الأدراج ملفات فساده.

التأثيم العشائري/الأسري/المدرسي يجد التعزيز له في نظم التحريم الديني التي تصب على الرؤوس ويلاً وثبوتاً وجحيماً وسعيراً من قبل التعليم الديني المتحجر وأئمة المساجد. ويتمدد نظام التحريم ويتعمم كي يقيد العقول وانطلاقتها، والسلوك وتطلعه الى الحياة، والرد الى الماضي الذي يدير الظهر للحياة ويدفع الى العيش في الفردوس المفقود من خلال استعادة سيرة السلف الصالح.

ثنائية التأثيم والتحريم تمهد السبيل لقيام الاستبداد السياسي، وتستكمل مقوماتها من خلال حكم المخابرات ومبدأ التجريم السياسي الحاكم لتصرفاتها في التعامل مع المواطنين، والشباب الجامعي منه على وجه الخصوص.

تفرض المخابرات شبكة مراقبتها وتحكمها على الناس والشباب تحديداً وصولاً الى الإخضاع وقمع كل تطلع. وتتشدد في بعض المواضع فتحصى على الناس أنفاسها حتى يتحول الواحد من هؤلاء الى محاكمة نياته ويصبح مخابراً على ذاته، تبعاً لمبدأ «حماية الراس هي الأساس». وبذلك يستتب الأمر لسلسلة السلطات المتحكمة بالنفوس والأفئدة. إنها سلطات متحالفة ضد طاقات الحياة ولو بدا أن هناك تناقضاً ظاهرياً بينها، أو حتى صراع. بذلك يتم قتل الأبناء من خلال قتل طاقات الحياة الوثابة لديهم تحت شعار الاستقرار والأمن الوطني. ومن الطريف الاشارة في هذا المقام الى أن كلمة «استقرار» تعني لغة «المياه الراكدة» والركود يؤدي الى التاريخ الآسن بدلاً من التاريخ الحي حيث تصنع الانسان ذاته وتصنع المجتمعات تاريخها وتحقق هويتها من خلال ما تنجزه من نماء وابداع على كل صعيد. فهوية المرء ليست في الاعتزاز بإنجازات الأسلاف التاريخية وإنما فيما يصنع وينجز وفيما يبني من حياة ومستقبل يتيح له احتلال مكانة ودور بين الأمم. تلك هي هوية الانجاز التي حققتها كل من ألمانيا واليابان بعدما حل بها من دمار شامل خلال الحرب العالمية الثانية. مكانتهما على الساحة العالمية تتمثل فيما تنتجانه من تقنيات متقدمة وسلع ذات جودة مكرسة. أما نظم الاستبداد الثلاثي العشائري/

الأسري، والديني والسياسي فتجد مجدها في الاستقرار والحفاظ على العادة والتقليد. ومن المعروف أن العادة تعني لغوياً الى العودة والتكرار والوقوع في التاريخ الدائري المكرر لذاته. وأما التقليد فهو التعلق بالماضي أساساً الذي يسحب ذاته على الحاضر ويغلق آفاق المستقبل وصناعته. ذلك هو التاريخ الآس ذو الزمان الدائري المغلق. وكلما ازداد تكراره على النسق ذاته اعتبر ذلك فضيلة، وسمي استقراراً و»ثباتاً ونباتاً». إنه يخرج المجتمع وناسه من ولوج ساحة الانتاج والانجاز والمكانة عالمياً، حيث التنافس مفرط الشدة على صعيد المنتجات التقنية فائقة الجودة والقدرات المعرفية المميزة والمفتوحة على المستقبل الذي يحمل المذهل من التقنيات، مما يتجلى في تباشير الحضارة الجديدة من خلال ثورة الفرادة (تمت الاشارة إليها أعلاه). فأين نحن من كل ذلك؟ واين هو إعداد طاقات شبابنا الحية لولوج هذه الساحة واحتلال الدور والمكانة؟

إننا بصدد عملية ترويض تحاصر طاقات الشباب الحية. إلا أن طاقات الحياة تستعصي على القمع والإخماد.

لقد اكتشفت الأبحاث البيولوجية النفسية الحديثة أن هناك ثلاثة أنظمة حيوية عصبية مستقلة عن بعضها البعض توجه السلوك، بحيث أن اشتغال أحدها لا يلغي وجود الآخر الذي يظل في حالة كمون. أولها هو الجهاز الميسر للسلوك والذي يرتبط بتفعيل طاقات الحياة والنماء والتوسع والتمدد والإقدام والمواجهة والمغامرة. إنه الجهاز الذي يتيح النماء والسيطرة على البيئة، كما يتيح البناء والتواصل والترابط، وهو الأقرب الى نزوة الحياة التي قال بها فرويد. ينشط هذا النظام من خلال نشاط الموصل العصبي المعروف باسم «دوبامين» المسؤول عن حالة الحماس والشعور بالتوسع والقدرة على الإقدام، مما يتجلى في لحظات الانتصار وما يرافقه من حماس وشعور بالنشوة. ويقابله الجهاز الذي يصد السلوك ويكبح المواجهة والمجابهة، ويفرض الهروب أو التجنب والاستكانة بمثابة آلية دفاعية حيوية في مواجهة الأخطار المهددة للحياة والتي تتجاوز القدرة على التعامل معها. إنه نظام الحماية من خلال الرضوخ وإيثار السلامة. وهو ينشط من خلال الموصل العصبي المعروف باسم «نور أبينفرين» الذي يولد حالة الخوف والقلق حين ينشط. وأما الجهاز العصبي الحيوي الثالث فهو النظام الذي يعقلن السلوك ويوازنه من خلال حسن تقدير معادلة القوى الذاتية في مقابل التهديدات والأخطار. يحول دون الانخراط في مغامرات مؤذية أو مهلكة، في الآن عينه الذي لا يدع الكائن الحي يستسلم للخوف وسلوكات التجنب وإيثار السلامة. ويقوم بتنشيطه الموصل العصبي المعروف باسم «السيروتونين» الذي يدفع باتجاه العقلانية والاعتدال.

راهنت سلطات الاستبداد وأجهزتها القمعية على الجهاز الثاني (الخوف والتجنب) بفرض الاستكانة على جماهيرها. واعتقدت أن هذه الآلية الحيوية هي الوحيدة الفاعلة. وغاب عنها أن نظام تيسير السلوك المرتبط بانطلاق الطاقات الحية موجود وقابل للتحرك والنشاط في حالة من فرض الحياة لذاتها ولو كمن طويلاً. وأنه لابد أن يتحرك ويكف عمل نظام الخوف والاستكانة حين تسنح الفرصة. الثورة والتعبئة والحشد وتشغيل آلية التآزر والتعاضد وإطلاق القوة الفردية من خلال الذوبان في الجماعة، أعادت تشغيل نظام تيسير السلوك، حيث تحققت إنجازات لم تكن تخطر في البال، أدت الى فرض الحياة لذاتها وانطلاق طاقاتها الوثابة؛ تلك هي حالة النضال الوطني من أجل الاستقلال.

ويضاف الى ثلاثي التأثيم والتحريم والتجريم، آلية أخرى ناعمة لاستيعاب الشباب من خلال رضاعة التسلية. تتحالف العولمة التي تمثل عالمياً مجتمع الخمس، مع الأنظمة التسلطية المحلية التي تشكل أقل من مجتمع الخمس في بلدانها لجهة استئثارها بالخيرات الوطنية. ولقد تفتقت قريحة برجنسكي (مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق) وأحد خبراء العولمة عن حل لفائض الشباب المهمش من خلال رفع شعار: رضاعة التسلية حيث نحت لها تعبيراً يتكون من دمج كلمتين Tit (حلمة الثدي) وEntertainment (التسلية والترويح) في كلمة واحدة Tittytainement.

من هنا رواج ثقافة التسلية والإلهاء من خلال القنوات الفضائية ليس للشباب وحده، وإنما لجميع الشرائح السكانية المهمشة. وهكذا تملأ التسلية في الثقافة المرئية وقنواتها الفضاء الكوني العربي. ولقد تحولت صناعة التسلية المرئية الى واحدة من أكبر التجارات ربحاً وازدهاراً وانتشاراً. وتتبارى هذه القنوات وتتسابق على ابتداع أساليب التسلية المسطحة للوعي والمخدرة للكيان، حيث تشحن بها ساعات الذروة في البث التي تمولها إعلانات الشركات الكبرى، وبذلك أصبحت الثقافة رهينة الإعلام وأصبح الإعلام رهين الإعلان. وهو مكسب مزدوج لمجتمع الخمس: تسطيح وعي الشباب وتخدير كيانهم من ناحية، وترويج ثقافة فرط الاستهلاك من الناحية الثانية.

ولقد انخرطت القنوات الفضائية التجارية العربية في هذا المشروع من خلال برامجها التي تستحوذ على الشاشات. ويأتي على رأسها الترويج للدين الكروي الجديد الذي تحول من انجازات رياضية رائعة الى وسيلة امتصاص حماس الشباب للإنجاز وتعصبه لفريقه الوطني. والمعروف أن الفيفا أصبحت من المؤسسات المالية العالمية الكبرى في كل أنشطتها كما في فضائح فسادها. ولقد حل هذا الدين الكروي الجديد، أو هو مطلوب منه ومخطط له أن يحل محل الحماس

للقضايا الوطنية وقضايا العدالة والتنمية، حيث أمسى انتصار الفريق الوطني في مباراة ما بمثابة انتصارات وطنية كبرى تحل محل الانتصارات في معارك التحرير. وأصبح التعصب للفريق الوطني، وما يؤدي إليه من أحداث عنف متكررة في الأخبار، وسيلة لامتصاص الاحتقانات المتراكمة لدى جيل الشباب المهمش ذي الطاقات الحية المهدورة.

إلا أن الدين الكروي الجديد يبقى ظاهرة صحية لجهة الانجازات الرياضية الخارقة التي يقدمها، مقارنة برضاعة التسلية والإلهاء وتسطيح الوعي وتخدير الإحساس بالغبن التي تروجها برامج صناعة النجومية السريعة وإغراءات مجد الأضواء، وهوس النجومية Starmania سواء في مباريات الغناء وتصفياتها واستعراضاتها، أم في برامج الألعاب على اختلافها، وكذلك في برامج الحظ، حيث يرى كل شاب عربي مهمش صورته وصوت أعماقه يتجسد على الشاشة من خلال التعصب لنجمه المفضل.

الشباب يبحث بالطبع عن المتعة والإثارة ويحتاج الى البطولة والنجومية تلبية لنداء طاقات الحياة لديه. إنما يجب أن يكون ذلك من خلال توفير فرص الانجازات له على مختلف الصعد العلمية والمهنية والوطنية، وليس من خلال دفعه الى أحلام اليقظة للتعويض عن هدر طاقاته وتهميشه.

وهنا يطرح الأمر الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول، بل إنه يشكل العنصر الميسر لبروزه، ألا وهو تهميش الشباب أو شريحة هامة منه. يشيع عموماً شكوى الكبار من سلبية الشباب ولا مسؤوليتهم وانصرافهم عن الاهتمام بالشأن العام وقضايا الوطن، من خلال لا مبالاتهم وتوجههم الى البحث عن الملذات والاثارة. وتتكرر هذه الشكوى بأشكال مختلفة. يشكو الكبار خصوصاً من عزوف الشباب عن الأعمال التطوعية، وعن روح العطاء، ومن قلة دافعيتهم وفقدانهم لروح المبادرة، كما تتعالى شكوى الكبار من طفيلية الشباب واتكاليتهم على الكبار واتباع أنانياتهم الذاتية.

إلا أنه لابد من التأكيد على أن العمل التطوعي ليس سوى أحد أبعاد المشاركة، إذ أنه يتلازم مع الإعداد للمشاركة في الحياة العامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المحلية والوطنية. وهو كله يتصل بالمواطنة الفاعلة التي تتمثل بالشراكة الكاملة في حياة المجتمع، وأسسها ومقوماتها وسبل تيسيرها وتوفيرها، وعلاج معوقات قيامها. ولذلك ففي مقابل شكوى الكبار ترتفع أصوات جيل الشباب من حرمانهم من فرص الشراكة الحقيقية، وتوفير فرص إطلاق طاقاتهم الحية للعطاء، من خلال سياسات اتباعهم وفرض الانقياد عليهم، وصولاً الى تهميشهم عن الشأن العام. تلك هي الاشكالية الحقيقية.

على الصعيد المبدئي لابد من التأكيد على أن العطاء وروح التضحية والبذل تشكل أحد الدوافع الأصيلة لروح الشباب وخصائصه. فكما يقبل الشباب على الحياة وإثارتها وحيويتها، ويحب المغامرة والانخراط فيها، والتجديد وخوض غماره، فإنه يرغب بالبذل والعطاء، الذي يصل حد الاستعداد للتضحية بالحياة ذاتها. أوليس جل شهداء حركات الاستقلال الوطني عربياً وعالمياً من الشباب؟ أوليس الشباب هو أول من يهب ويتحرك وينزل الى الساحة ويبذل بدون حساب، حين تقع القضايا الكبرى في الوطن؟ روح العطاء هي بالتالي أصيلة لدى الشباب، مما يرتبط بأقصى لحظات تحقيق الذات لديه، واستحقاق جدارة الرجولة والنجاح في امتحانها. الشباب المتهم باللامبالاة والجري وراء الملذات والإثارات الحسية، هو الذي يفاجئ الجميع والكبار في مقدمهم بانتفاضة طاقات الحياة والعطاء لديه في الأحداث الوطنية الكبرى.

يتهم الشباب بالعزوف عن الأعمال التطوعية في منظمات العمل الأهلي. ولكن أليس جيل الكبار هو من يستأثر بمناصب الرياسة (المريسة) في هذه الجمعيات ويؤزل رئاسته لها، ويحولها الى مصاطب للوجاهة وتصدر صفوف الحضور في المناسبات العامة؟ كم من هذه الجمعيات يقبل رؤساؤها الشيوخ تجديد شبابها من خلال إفساح المجال لجيل الشباب لتولي زمام القيادة؟ إنهم لا يريدون للشباب أن يقود ويجدد شباب العمل العام، بل أن يكون أداة بتصرفهم لترسيخ رياستهم وتأزيلها، ثم يشكون من عزوف الشباب.

أما المشاركة في الشأن العام فهي تصب في صلب المواطنة وعضويتها الفاعلة وأهليتها الاجتماعية الكاملة. تتضمن المشاركة مفهومين متكاملين ومتلازمين هما: الالتزام بقضايا المجتمع، وحق العضوية المشاركة بفاعلية فيه. يتضح من الاطلاع على الأدبيات الخاصة بالشباب، أن هناك غياباً واضحاً للعمل السياسي في كل هذه الخطط. إنها تركز على الرعاية الفوقية للشباب بدون إفراد باب لمبادرتهم الى الشراكة والقرار والدور الفاعل على الساحة السياسية والعامة.

والدليل على ذلك كثرة القيود على إنشاء المنظمات والهيئات الشبابية التي تهتم بالشأن العام، مشاركة وتقريراً وتسييراً وتغييراً. كما أن تهميش الشباب عن الشراكة الفعلية في الشأن العام يتجلى في حظر النشاط الطلابي في الجامعات والحجر عليه، إلا أن يكون تحت السيطرة الكاملة للسطات الجامعية، التي لا تترك من مجال للمبادرات الطلابية إلا في حالات شكلية تكاد تكون ذات طابع احتفالي أكثر منه نشاط تغييري. وهو حظر يتوسع باضطراد كلما ظهرت مطالب، أو قام تحرك يتعلق بإحدى القضايا الوطنية العامة. حتى التحركات ذات الطابع القومي العربي يطالها الحظر بازدياد، في العديد من الدول العربية، إلا أن تكون تحركات تخدم

أهداف السلطات الحاكمة. وهي سلطات تريد من الشباب وطاقاتهم الحية أن تكون في خدمة أهداف توطيد هيمنتها وتأزيل سلطتها.

من الرعاية الفوقية الى التمكين المعرفي

قد يقال رداً على ما سبق أن الشباب يحظى برعاية واهتمام خاصين، وأن هناك وزارة للشباب في العديد من البلاد العربية. هذا صحيح ولكن لنتوقف لحظة عند وظائف هذه الوزارة. إنها في الأعم الأغلب تتخذ مسمى «الشباب والرياضة» وهنا يكاد الاهتمام ينحصر في الرياضة، وخصوصاً كرة القدم والفريق الوطني. كأن قضية الشباب المستقبلية وبالتالي الوطن يمكن أن تختزل في الفريق الوطني. مع الاعتراف المشدد بأهمية الرياضة، والكروية منها خصوصاً، حيث أصبحت العديد من بلدان العالم الثالث لا تطل على الساحة الدولية إلا من خلال الفريق الوطني. قضية الشباب، أو قضاياه لا يجوز أن تختزل في فريق كرة القدم الوطني والفرق الجهوية. إنها قضية مصير البلد ومستقبله.

أما الأمر الثاني فيتمثل في موقف السلطات من قضية الشباب حيث تتخذ طابع الرعاية الفوقية. وهو توجه يتنافى مع تمكين الشباب الذي لا يتم إلا من خلال الشراكة كحد أدنى، وأخذ الشباب لزمام المبادرة. لابد أن يأخذ الشباب زمام المبادرة وابتداع أساليب خلاقة في ممارسة دورهم ومكانتهم. عندها يمكن لطاقات الحياة النمائية والمبدعة لديهم أن تتفجر. ولم يعد مقبولاً راهناً القول بأنهم بحاجة الى رعاية فوقية والى تعلم أساليب الكبار واستنساخها كي يكبروا بدورهم ويتحملوا المسؤولية. كان ذلك يصدق أيام الأجداد والأسلاف حيث يتدرب الحدث على يد والده ويتعلم منه ممارسة مهنة هذا الأب. أما الآن ومع انفجار الانفتاح على الدنيا وثورة المعلومات وتوفرها للشباب أكثر مما هي متوفرة للكبار، إضافة الى وعيهم واتساع أفقهم الذهني يفضل العيش في حمام تقنيات المعلومات، والابحار فيها. يكاد أن لا يكون هناك حاجة في أيامنا الى مرجعية الكبار المعرفية بالنسبة للجيل الصاعد الذي يتقن الابحار فيه أكثر من والديه ومعلميه.

على الكبار والمسؤولين افساح المجال لجيل الشباب كي يتحمل مسؤوليته، عندها سيرى هؤلاء أن الشباب سوف يذهلهم بمبادراته الابداعية في العديد من المجالات. وبالتالي على الكبار والمسؤولين التوقف عن ممارسة وصايتهم على الشباب، إلا أنه لازال لهم دور حيوي يتمثل بتقديم المشورة، بالتحول الى مستشارين للشباب. عندها تجدد الحياة ذاتها ويتم الخروج من التاريخ الدائري المكرر لذاته، وصولاً الى الانطلاق الى آفاق المستقبل.

ويبقى للأسرة التي تتيح للأبناء خوض مغامرتهم الحياتية دوراً هاماً يتمثل في حماية ظهر الأبناء وتوفير مرفأ الأمان ومجال استراحة المحارب. وهو ما يبث المزيد من الثقة في نفوس الأبناء في القدرة على المزيد من الاقدام بدون خوف الضياع.

أما على الصعيد الوطني فإن المهمة العاجلة والتي لم تعد تحتمل التأجيل فتتمثل بالتمكين المعرفي لمختلف فئات الشباب. فهم، كما سبق القول يعيشون في العولمة التي يحكمها قانون القوة على كل الصعد، ويتوجها القوة المعرفية. إذ تقسم البلدان في عالم اليوم الى بلدان تمتلك القوة المعرفية المتجددة والتمرس في تطبيقاتها، وأخرى تابعة ومنقادة. المعرفية راهناً هي القوة، والمعرفة هي المال، والمعرفة هي السلطة، وبالتالي فالمعرفة هي مصدر الفخار الوطني ومرتكزة (هذا قول لوزير تربية أحد بلاد النمور الجدد). بلدان النمور الجدد (شرق آسيا) بنت نهضتها، كما هو معروف، على بناء قوتها المعرفية وتحويلها الى منتجات تقنية قادرة على المنافسة العالمية. قوة المعرفة هي سلاح المنافسة المتزايدة وحامية الوطيس على الساحة العالمية في مجال الانتاج وجودته وإبداعاته. وما صدق على بلاد النمور الجدد يصدق علينا هو ذاته.

يندرج كل ذلك ضمن مشروع تنمية وطنية شاملة تستثمر كل الطاقات الشابة، والثروات المادية الوطنية. ذلك ما فعله القيادي الرائد صاحب الرؤى المستقبلية، مهاتير محمد في ماليزيا. كانت ماليزيا التي دخلت ضمن كتلة النمور الجدد بلداً فقيراً تعصف به الصراعات الطائفية والعرقية نظراً لتنوع سكانها. طرح مهاتير محمد شعار: «الكل يتعلم، الكل يعمل، والكل يعيش ويبني حياتاً». ولقد كسب الرهان، فتوحدت ماليزيا، وهي الدولة المسلمة كحالنا، حيث وجد الجميع فرصتهم وبنوا مكانتهم. وأنجزت ماليزيا بالتالي نقلة نوعية على الصعيد الاقتصادي، حيث احتلت مكانها بين النمور الجدد وعلى الساحة العالمية. وبالطبع تمثل عماد هذه النقلة في التمكين المعرفي لشبابهم واطلاق طاقاتهم الحية.

ونحن بدورنا إن لم نفعل، وإذا استمرينا في الهروب في أمجاد السلف فإن مستقبلنا سوف يفلت منا، فلم يعد مقبولاً الاستمرار في هدر الثروات الوطنية وهدر طاقات الشباب، في مختلف شرائحهم. الخيار هو أن نكون ومساره معروف (بناء القوة المعرفية لدى جيل الشباب واستثمار طاقاتهم) أو لا نكون ومساره معروف كذلك (أي العيش في أسطورة الفردوس المفقود، والخروج من الساحة العالمية).